الحجْر المفروض عليها، وتمكينها من التعبير عن نفسها. أمّا التجلي البرنامجي لذلك كله، فقد كان، بدون منازع، مفهوم «الدولة الديمقراطية» على كامل تراب فلسطين: التجلي الذي حظي باجماع فصائل الثورة. غير ان هذا النزوع الى استقلال الشخصية السياسية الوطنية نما، في الاوساط الفلسطينية، قبل الهزيمة بفترة طويلة، ومنذ أواسط الخمسينات على الاقل، وتحديداً في غزة ومصر حيث بدأت تتشكل النويّات الاولى لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)[٩]. ولم تكن تطوّرات ما بعد حزيران (يونيو) ١٩٦٧، فلسطينياً، وعلى صعيد نمو الوعي بتميّز الشخصية الوطنية الفلسطينية بالذات، لم تكن، في جانب من جوانبها، الاّ ثمرة ما حرثته «فتح» من أفكار، غذّاها، بصورة اساسية، الاستقلال الفلسطيني بالمبادرة العسكرية، من خلال اطلاق حركة الثورة المسلحة في مطلع العام ١٩٦٥. والى هذا نضيف ان تأسيس م.ت.ف. في العام ١٩٦٤، ساعد كثيراً في نمو الشعور بهذه الشخصية الوطنية، ومهّد السبيل نحو مزيد من تعميق الوعي بها وممارسته[١٠].

يعتبر الانتقال المتكرر من القومي الى الوطني هو المسار الذي قطعته قضية الدولة في الوعي السياسي الفلسطيني، لتستقر، في نهاية المطاف، على أطروحة الدولة الوطنية التي دشّنها الاعلان عن صيغة الدولة الديمقراطية، ثمّ، لاحقاً، عن صيغة الدولة الفلسطينية المستقلة. ومع نهاية الستينات وبداية السبعينات، لم يعد الصراع، أو السجال، حول اشكالية الدولة يدور على قاعدة الثنائية التقليدية «قومي ـ وطني»، هذه التي حسمت بعد العام ١٩٦٥، وانما اصبح يدور على قاعدة ثنائية جديدة، هي ثنائية الاستراتيجي ـ التكتيكي.

٢ ـ الدولة الوطنية؛ الاستراتيجي والتكتيكي

حين طرحت قضية الدولة الوطنية في الوعي السياسي الفلسطيني بعد هزيمة حزيران (يونيو)، فقد طرحت بصفتها التجلّي الاستراتيجي الشامل للفكرة الاستقلالية الوطنية: الفكرة التي تبلورت، وتطورت، في الصراع ضد الاغتصاب الصهيوني لفلسطين، وضد الالحاق القومي والوصاية العربية[١١]. ولمّا كان مطلب الدولة في عنفوانه، ولمّا كانت الثورة الفلسطينية الصاعدة تتحسّس طريقها الى فلسطين، مسلّحة بالوعي الثوري الجديد، وبارادة كفاحية لا تلين، وبمخزون من المعارف عن نجاحات التجارب الثورية العالمية في التحرير الوطني، فقد بلورت مفهومها للدولة في صياغة برنامجية استراتيجية أتى يعبّر عنها شعار «الدولة الديمقراطية على كامل تراب فلسطين»، دون كبير اهتمام بمدى ما تسمح به أوضاع الثورة الذاتية ـ الموضوعية من امكانات لتحقيق ذلك.

كان من الواضح ان الثورة الفلسطينية اهتدت الى هذا الشعار لسببين: الرد على واقعة الاغتصاب الصهيوني لفلسطين والاصرار على تحريرها كاملة، والرد على التعصّب الديني الصهيوني، الذي عبّر عنه قيام دولة طائفية (الدولة العبرية) على ارض فلسطين، بمفهوم حديث للدولة تتعايش فيها الديانات، وينتظم فيها المجال السياسي على أساس ديمقراطي. ولكن بمقدار ما كانت اطروحة «الدولة الديمقراطية» تعكس انتقالاً هامّاً في الوعي السياسي الفلسطيني نحو صياغة مدققة للبرنامج السياسي، أي للاهداف السياسية التي تنشد الثورة تحقيقها، وتتخطى محض شعار التحرير، بمقدار ما كانت تتجه الى مخاطبة رأي عام تحرري علماني مساند عالمياً، واقليمياً، بمقدار ما كانت تعكس انخفاضاً في درجة ادراك شروط العملية الثورية ومستلزمات ادارتها، سياسياً وعسكرياً. فالدولة بهذا المحتوى، على الرغم من انها التصور الخلّاق لحل المسألة الوطنية الفلسطينية، لم تكن مرشحة للوجود، لا بالمقاييس السياسية حيث يرفضها الرأي العام العالمي بحسبانها مرادفاً لتدمير